

ورزازات:

أحواش، التراث في خدمة السياحة

< ورزازات -
تحقيق وتصوير:
نور الدين سعودي

مدينة ورزازات، جوهرة الجنوب المغربي الشهيرة بسكونها وهدوئها، عاشت نهاية أسبوع صاخب وحركة منقطعة النظير إثر "مهرجان أحواش" الذي حوّل شوارع المدينة إلى عرس بهيج تحت إيقاع أهاليح شعبيّة وألوان رائعة من الرقصات الجماعيّة. أدخلت البهجة والسرور على السكان المحليين وعلى السائحين المغاربة والأجانب من كلّ الفئات.

الزربية أو السجاد بقرية "تازناخت"، متحف الديناصورات بقرية "نزودة إيمينولاون"، متحف النخيل بقرية "سكورة"، ومتحف التنوّع البيولوجي بورزازات) و"ربيع ورزازات" الذي يهدف إلى ترسيخ وتنويع التنشيط الثقافي والسياحي بغية إبراز ورزازات كقطب مستقلّ للجذب سياحي، وكذلك عبر تشجيع الاستثمار في مجالي السياحة والسينما. ▶

المهرجان على خارطة المهرجانات المتميّزة بالمملكة المغربيّة، فإن هذه الدورة عملت على ترسيخه وإغنائه ضماناً لاستمراره، وذلك من خلال برنامج واسع لتنشيط العمل السياحي وتنويعه، كما أشار إلى ذلك السيّد عبد الصادق العالم، مدير المهرجان. خلال الندوة الصحفيّة صباح اليوم الأول للمهرجان، ودارت محاور المهرجان حول: "ورزازات المتاحف" (متحف السينما بورزازات، متحف نسيج

د عبت مجلّة "السياحة الإسلامية" إلى مدينة ورزازات (الواقعة على بُعد 528 كلم جنوب شرق العاصمة الرباط) لتغطية مراسيم "مهرجان أحواش" في دورته الثالثة أيام 11 إلى 13 نيسان/أبريل تحت شعار "أحواش: دينامية في خدمة التنمية". هذه التظاهرة المنظّمة بتأزر السلطات المحلية ومهنيي قطاع السياحة والنسيج الجمعي، تندرج ضمن "برنامج ربيع ورزازات" الممتد من مارس/آذار إلى آب/أغسطس الذي يهدف إلى ترسيخ التنشيط الثقافي كرافعة حقيقية للتنمية المستدامة للمنطقة، وعلى رأسها تنمية السياحة.

وإذا كانت الدورتان الأولى والثانية قد نصبتا





وذلك حسب دراسة جدية قام بها في 1982 عالم الموسيقى الفرنسي لورطا جاكوب. وفي نظر شكري، يعتبر أحواش بورزازات الحامل والشاهد التاريخي الذي استطاع أن يصمد إلى يومنا. رغم ما طرأ عليه من تغيير، إن على مستوى الشكل أو على مستوى المضمون. كما أنه لا يزال أحد أشكال الثقافة الشفوية الشعبية. صوت من أصوات الإبداع الفني الجماعي والفردى، يتغنى من خلاله الأهالي بأفراحهم ومآسيتهم، وآلامهم وآمالهم. وهو فن حامل لقيم إجتماعية تعبر عن التضامن والتآزر. وإذا كانت الأجيال الحاضرة والسيّاح يرون في هذا الفن الأبدى التعبيري موسيقى ثلاثية الأبعاد فقط (الإيقاع، الحركة، الصوت). إذا لم يبقَ اليوم في أحواش سوى شكله الفني، فإنه كان ذات يوم أحد ناقلي القيم المحلية وإحدى وسائل التواصل بامتياز، ولا بدّ من الإشارة إلى الدور المركزي الذي لعبته المرأة البربرية في الحفاظ على هذا الموروث الثقافي ونقله من جيل إلى آخر طوال العقود الخالية، كما يضيف الباحث.

ألف سؤال وسؤال حول المهرجان

أكد أن المنظّمين لهذا المهرجان، باعتمادهم على الطاقات والكفاءات البشرية المحليّة، وباختيارهم للفرق العشرين المشاركة بناء على معايير احترافية وجغرافية، وبسعيهم إلى العناية الاجتماعية بفرق أحواش وتجديد النخب

ماذا تعني أحواش؟

يهدف مهرجان أحواش إلى التعريف بالموروث الثقافي والفني والحضاري المتعدّد لإقليم ورزازات بالتركيز أساساً على أحواش. بغية إعادة الاعتبار وتثمين هذا الفن الغني برموزه وقيمته الإنسانية والاجتماعية وعبر جميع مكّونات التراث الحضاري لهذه المنطقة من الجنوب المغربي.

أوضح الباحث أحمد شكري (حاصل على دبلوم الدراسات المعمّقة بجامعة ميشال دي مونطيني (بورودو-فرنسا). خلال الندوة حول "التراث والتنمية المحلية". دلالات عبارة أحواش قائلاً: "أحواش هو الاسم الذي يطلق على هذا النوع من التراث المحلي الذي تمتزج فيه الكلمة العذبة والرقص الموزون بورزازات. إذا تمعنا قليلاً في كلمة "أحواش"، سنجدها مشتقة من "حوش" هذه الكلمة التي تعني "أجمع" أو "ضم" في إشارة إلى الدور الذي يلعبه هذا الفن في جمع الساكنة القروية أثناء مختلف المناسبات الجماعية التي يتمّ الإحتفال بها في المنطقة". وأضاف الباحث، أن رقصة أحواش كانت تؤدّى من طرف متطوّعين، وهي رقصة تعبيرية على أنغام شعر مغنى يشترك فيها الرجال والنساء على حدّ سواء.

هذا الفن التعبيري المرتبط بورزازات على الخصوص، له امتدادات على مستوى الأطلس الكبير. من هنا أمكن ربط أحواش بالمناطق التي يسكنها الشلوح (قسم من الأمازيغ). إذ يمارس في كل مناطق الأطلس الكبير الغربي والأطلس الصغير من دمنات إلى أسيف أمكون.

كان المهرجان فرصة للتوقيع على اتفاقية مشروع سياحي ضخم بغلاف مالي يبلغ 5,4 مليارات درهم، يحمل اسم "مدينة البحيرة". بحضور شخصي لوزير السياحة والصناعة التقليدية السيّد محمد بوسعيد ووزير الفلاحة السيّد عزيز أخنوش (رئيس جهة "سوس ماسة درعة" التي يقع ضمنها إقليم ورزازات). مما أعطى دعماً معنوياً هائلاً لهذا المهرجان ولهذه المدينة.

وفي مجال الفن السابع، تمّ تكوين "لجنة السينما" من طرف المهنيين بهدف تنظيم نشاط العاملين في هذا الميدان من تقنيين وممثلين وحرفيين. ومن المعلوم أن ورزازات تعد بحق "هوليوود إفريقيًا"، حيث شهدت استوديوهاتها وفضاءاتها وقصباتها الشهيرة، خاصة قصبة آيت بنحدو المسجلة ضمن التراث العالمي منذ سنة 1987 وقصبة تاوريرت، تصوير مشاهد من أفلام عالمية، أمثال "لورانس العرب"، "بابل"، "الإسكندر الأكبر"، "كلادياتور"، "المومياء" وغيرها.

إفتتحت الدورة بكرنفال مرّ عبر أهم شارع بالمدينة وضمّ مجمل فرق أحواش المشاركة وكذلك نخبة من الممثلين المحليين (الكومبارس) بزّيهم المهني، وبتخصيص ندوة علمية وثقافية لمناقشة أبرز قضايا تطوير هذا المهرجان. وقد أقامت بلدية ورزازات مهرجان أحواش للأطفال، حيث كانت الفرق من الأطفال والمشاهدين أيضاً. وقد استمتع الجميع طيلة ثلاثة أيام بالرقصات والأهازيج الشعبية البديعة.



وجميل أن نسعى إلى الحفاظ على التراث الشعبي بل وأن نعمل على تطويره وفق متطلبات العصر. وجميل أيضاً أن تكون هناك إرادة تروم رفع التنمية السياحية والاقتصادية بالنسبة لإقليم مثل إقليم وزازات بالجنوب المغربي. إلا أن ذلك يتطلب رؤياً واضحة لمفهوم التنمية المستدامة المبنية على الحفاظ على البيئة الطبيعية والاجتماعية والتراثية وعلى أن يكون السكان المحليون هم المستفيدون الأوائل منها.

وخلال ملتقيات هذا المهرجان تم توزيع أعداد من مجلة السياحة الإسلامية التي أثار فضول عدد من المشاركين ولقيت استحساناً من قبل معظمهم. سواء من حيث خطها التحريري أو جودة إخراجها وشكلها الفني. هذه المدينة وإقليمها يستحقان فعلاً الزيارة، وهما يتوقران على مجالات للإقامة متنوعة وملائمة لكل الفئات وبأثمان مناسبة (فنادق من واحد إلى 5 نجوم ومجمعات عائلية ومراكز للإيواء بل وحتى الخيام). ومن أجمل الهدايا التي يمكن للسائح اقتناؤها بورزازات نذكر بالخصوص الزربية ("آيت واوذكيت" و"نازاخت"). الحلبي الفضيّة والخنجر المحلي. ■

أجانب...) وكذلك العلاقة التراثية ما بين جذور مكونات أحواش والمعتقدات الإسلامية التي تعيشها المنطقة. ومن جانبي، فقد أشرت إلى ملاحظتين. الأولى تخص مفهوم التنمية السياحية، حيث لا يجب التركيز فقط على الجانب الكمي (الرفع من عدد السياح بأي ثمن) بل الاهتمام بالكيف أي تشجيع السياحة المسؤولة أو الأخلاقية والسياحة البيئية التي تحافظ بدرجة خاصة على الموارد المائية الشحيحة في المنطقة التي تعدّ شبه صحراوية. والملاحظة الثانية خصت ضرورة التنسيق الإقليمي فيما يتعلق بتنظيم وتوقيت المهرجانات بجهة سوس-ماسة-درعة. والحقيقة، فقد طرح خلال هذا المهرجان ألف سؤال وسؤال من قبل الصحفيين والمشاركين. غير أنهم على هذه النظاهرة الواعدة وعلى هذا الإقليم الغني بالمؤهلات السياحية الطبيعية (جبال، واحات النخيل، كتبان رملية، شعب ضيقة شاهقة) والثقافية (فنون شعبية متنوعة، صناعة تقليدية ريفية) والتراثية، تاريخية وعمرانية (مثل قصبة آيت بنحدو وقصبة تاويرت حيث أقيمت رقصات أحواش).

الفنية، قد أحسنوا عملاً. خاصة مع محدودية إمكانياتهم المادية التي لم تبلغ سوى 2 مليون درهم (على سبيل المقارنة، "مهرجان كناوة" بالصويرة الناجح يتطلب 10 ملايين درهم).

إلا أنه، لوضع هذا المهرجان ضمن قائمة أبرز التظاهرات الثقافية - السياحية بالمملكة المغربية، يجب بذل المزيد من الجهود في المجال الإعلامي والتسويقي. كما أشار إلى ذلك الأستاذ بنموسى الذي قدّم مداخلة في موضوع "فن تسويق المهرجانات في خدمة التنمية". أبرز فيها أن الأغلبية الساحقة (93) من المهرجانات المنظمة بالمغرب عرفت تطوراً محدوداً، لضعف احترافيتها وتمايها وانعدام التنسيق الإقليمي والوطني.

كما أشار الأستاذ عبد الصاحب الشاكري، ناشر مجلة السياحة الإسلامية الذي استدعي كضيف شرف للمهرجان، إلى ضرورة خلق هيئة وطنية تعنى بتنظيم وتنسيق المهرجانات، وتحديد الفئات السياحية المستهدفة من قبل كل مهرجان (سياح محليون، وطنيون أو